ماضي اليمن ومستقبلهُ

اليمن او العربية السعيدة كما كان اليونان يسمونها مثل كل البلدان التي يخفق عليها العلم العثماني الآن بلاد خير ويمن . الارض كثيرة الخيرات والاقليم معتدل صالح للزراعة والصحة والموقع في متوسط البلدان العامرة والسكان من سلالة اقوام لا يقلُّ تاريخهم عن تاريخ غيرهم من الامم في الرفعة والمجد

بابل واشور وفينيقية ومصر واليمن واسيا الصغرى ومكدونية بلدان الدولة العلية . من يذكر هذه الاسماء ولا تُمثل امام عينيهِ عظمة الممالك القديمة

منذ خمسة آلاف سنة قبل التاريخ المسيحي الى ان بلغت رومية اوج مجدها وهذه الممالك رافلة في حلل السعد تخاصم وتحارب ويجور بعضها على بعض ولكن شمس العظمة لم تغرب عنها قام العرب في القرن السابع وانشأوا مملكة ضخمة جعلوا سريرها دمشق ثم بغداد ثم القاهرة . لا شبهة في قيامهم ولا شبهة في تدويخهم الاقطار ولا شبهة في امتداد سطوتهم من الهند والصين الى غربي افريقية وعبورهم الى اسبانيا وتدويخها وانشائهم مملكة منيعة فيها ولكن هل بقيت هذه البلدان في عهدهم على ارتقائها السابق او هل زادت ارتقاء واستردت ما كان لها من الشأن في عهد ملوكها الاولين . هل بلغ القطر المصري في عهدهم ما بلغهُ في عهد الفراعنة والبطالسة هل بلغ العراق في عهدهم ما بلغهُ في عهد نبوخذنصر وسنحاريب وقورش هل بلغت بلاد الشام وقرطاجنة في عهدهم ما بلغتاهُ في عهد الفينيقيين

كانت جباية مصر بعيد الفتح في عهد عمرو بن العاص ١٢ مليون دينار او نحو ستة ملايين من الجنيهات ثم انحطت رويداً رويداً حتى بلغت اربعة ملايين دينار في اوائل القرن التاسع للهجرة ولم يبقَ فيها حينئذٍ من الارض المزروعة سوى ثلاثة ملايين وثلث مليون من الافدنة وهي الآن اكثر من ستة ملايين

قال ابن اياس في تاريخهِ المشهور وكان في اوائل القرن العاشر الهجري « وقد تغيرت احوال مصر في دولة الاسلام الى الغاية وخرب غالب قراها واستمرت الى الآن في كل سنة يتلاشى امرها الى الخراب » ولو كتب في اوائل القرن الحادي عشر والثاني عشر لبالغ في وصف ما حلَّ بها من الخراب والدمار فقد كان سكانها في زمن الروم نحو ثمانية ملايين من النفوس فتلوا رويداً رويداً حتى وصلوا الى اقل من مليونين ونصف سنة ١٨٠٠ وهم الآن نحو ١٢ مليوناً

لما تغلب الاسكندر المكدوني على داريوس المادي وجد في عاصمته خمسين الف وزنة من الذهب اي نحو ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات وفي برسيبولس وسيبرغادي ٨٠ الف وزنة اي ٤٧ مليوناً من الجنيهات والجملة ستون مليوناً من الجنيهات فاين تلك المدن واين عظمتها وغناها. لم تزل آثار برسيبولس ماثلة الى الآن وهي اعظم آثار المدن القديمة وافخمها والاسكندر هو الذي خرب تلك المدينة فلا لوم في خرابها على غيره ولم تكن من مدن العراق ولكن ملكها كان ملك العراق وغناهُ من العراق ومن البلدان التي يخفق عليها العلم العثماني الآن

اما فينيقية وعواصمها صور وصيدا وارواد وقرطاجنة التي نافست اليونان والرومان فلم يبقَ من عظمتها القديمة الاَّ الطلل البالي ومدافن الملوك والعظماء

جاء اليونان والرومان بمصر والشام فلم نقل بعظمتهما في ايامهم فترى آثار لقصر وكرنك وكوم امبو وانس الوجود وبيروت وجرش ودمشق التي من عهد اليونان والرومان ليست دون آثار المصريين والفينيقيين بل قد تفوقها اتقاناً واحكاماً ولا ينكر ان الصناعة استعزت حيناً في عهد العرب ولكن شتان بين عظمة مبانيهم وعظمة المنشآت القديمة

اما اليمن فآثارها القديمة تدل على ملك واسع وغنىً وافر ومهارة في الصناعة والهندسة. الامة التي تبني في اوديتها سدوداً تفوق سد اسوان عظمة واحكاماً لا تكون دون امة اخرى من امم الارض

لا نحفل بما كتبهُ الذين وصفوا اشياء لم يشاهدوها واموراً لم تحدث في ايامهم ولكن الآثار الباقية والاخبار التي قصها شهود العين لا يرتاب فيها حتى قال الاستاذ سايس الاثري الشهير «ان اليمن سابقة في تمدنها على مصر وبابل وانها هي بلاد بنت اوفوط التي هاجر منها الى مصر اسلاف الفراعنة العظام وحملوا معهم اليها العلم والحكمة والزراعة والصناعة والتجارة ومنها ايضاً في الراجح كان اسلاف البابليين والاشوريين الذين حملوا في مهاجراتهم الى تلك البلاد ما حملوهُ الى مصر من العلم والصناعة كما أنَّ منها او مما جاورها من بلدان الجزيرة كان معظم الجاليات التي استعمرت شواطئ البحر المتوسط في سوريا واسيا الصغرى وبلاد اليونان وايطاليا وفرنسا وشطوط افريقيا مما يقابل جبل طارق حتى تصل الى مصر والسويس. وبالاجمال لا يستبعد ان تكون شبه جزيرة العرب وبالاخص العربية السعيدة اي اليمن امّ التمدن القديم في كل اسيا الغربية واوربا وافريقيا». انتهى من مقالة الاستاذ ضومط في المجلد ٣٧ من المقتطف

عرف اليونان والرومان بلاد اليمن قبل المسيح بأكثر من مئتي سنة ووصفها لهم اراتوستنس واغاثرخيدس وارتيميدورس وصفاً يدلُّ على غنىً يفوق التصوُّر فاثار وصفُها طمع الرومان وجهز اغسطس قيصر جيشاً لغزوها وكان يحسب ان الانباط يعاونونهُ فخذلوهُ ولم يرشدوهُ الى طريق القوافل فوصلت جنودهُ الى اليمن وقد اخذها العياء وارتدت عنها باخبارها . ثم احكمت عرى الصداقة بين ملوكها وملوك الرومان في القرن الاول من التاريخ المسيحي وجعلت البلادان تتراسلان وتتهاديان كما يفعل الاكفاء . الامبراطورية الرومانية وهي في اوج مجدها و بلاد اليمن كانتا متصادقتين متكافئتين قبل الهجرة بخمس مئة سنة

ولم يكتفِ اليمانيون بتعمير بلادهم فهاجروا الى سواحل افريقية المقابلة لهم وعمروها ومنهم سكان بلاد الحبش ولا يبعد ان يكون سكان مصر الاقدمون منهم كما تقدم ثم تغلب عليها الاحباش فالفرس فالعرب . والظاهر ان شأنها كان قد انحطَّ كثيراً قبل استيلاء عرب الحجاز عليه بقبول طرق التجارة البرية منها فيكن [illegible] تسلب بتوالي العرب [illegible] آثار عظمتها السابقة فقال ابن خلدون « كانت اليمن منازل العرب العاربة ودار الملوك العظماء من التبابعة [illegible] ثم توالت عليها [illegible] حميرية [illegible] الاكاسرة والعباسيين والايوبيين وقامت فيها دول صغيرة وبقي لها شأن يذكر قبل ان خضعت لدولة آل عثمان كما يظهر من رحلة بارتيما التي نشرناها في الاجزاء الماضية فقد جاء فيها ان سلطان اليمن الملك الظافر صالح بن عبد الوهاب زحف بجيشهِ على صنعاء ومعهُ ثمانون الفاً من العرب وثلاثة آلاف فارس من غلمان الحبشة وهم حرسهُ الخاص واخذ معهُ خمسة آلاف جمل تحمل خياماً مصنوعة من القطن واطنابها من القطن ايضاً . وقال ان النهب الذي رآهُ في خزينة السلطان في المقرانة يبلغ حمل مئة جمل او اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات (وذلك سنة ٩١٠ للهجرة) !

ويظهر من رحلة ابن بطوطة الذي زار اليمن قبل بارتيما بنحو مئتي سنة ان مدنها كانت في ايامه عامرة تحفُّ بها الرياض والبساتين ولم يكن القطر المصري حينئذٍ اعمر من اليمن ولا كان منذ مئة سنة اعمر من بلاد اليمن الآن . وقد استطردنا الى ذكر القطر المصري لكي يرى رجال الدولة العلية كيف تستعد البلدان قواها وترتقي اذا احسنت ادارتها فان النهضة التي نهضها هذا القطر في عهد محمد علي باشا لم تستمرَّ ثم تراكمت عليهِ الديون في عهد اسمعيل باشا ورزح تحت ثقلها ولكن عشرين سنة من سني الاصلاح حولتهُ من حال الى حال من الافلاس الى السعة كما ترى في الجدول التالي وفيهِ مقابلة بين حالهِ سنة ١٨٨٤ و ١٩٠٤

	سنة ١٨٨٤	سنة ١٩٠٤
ايرادات الحكومة المصرية بالجنيه المصري	١٠١٣٩٦١١	١٤٤٨٢١٦٢
مصروفاتها	٩٧٩٦٠٢٩	١٠٥٨٨٥٧٣
مساحة الاطيان الزراعية بالفدان	٤٨٠٣٩٦٤	٠٥٥٨٠٠٠٠
متوسط المال المربوط على الفدان بالقرش	١٠٥	٨٤
ايراد سكك الحديد بالجنيه	١٤١٠٩٨٤	٢٦٠٣٢١٦
ايراد البوسطة	٠٠١٠٤٢٢٣	٠٠١٩١٠٣٨
حاصل القطن بالقنطار	٣٦١٥٧٥٠	٦٣٥١٨٧٨
قيمة الصادرات من القطر بالجنيه	١٢٥٤٩٠٦٠	٢ ٣١٦٠٧٦
قيمة الواردات اليه	٧٨٦٠٤٤٢	١٩٨٨٨٨٢٥

فاذا وقفت اليمن بادارة حسنة مثل ادارة القطر المصري صلح حالها كما صلح حال هذا القطر لان ما كان ميسوراً لسكانها منذ الفي سنة يجب ان يكون ميسوراً لهم الآن لاسيما اذا مُدّت سكة الحجاز اليها وعادت طريقاً للتجارة البرية كما كانت حينئذٍ فانها لا تستبعد ان تصير طريقاً لبريد الهند

وقد اشتهرت اليمن بطيوبها ومعادنها اما الطيوب فالكيمياء اغنت عنها الآن واما المعادن فلم يقل شأنها الآن عن شأنها في العصور الغابرة بل زادت حاجة الناس اليها واذا صحّ ماقيل من وجود مناجم الذهب فيها وكانت هذه المناجم غنية زادت بها غنىً

ونعني بحسن الادارة بعد اخماد الثورة اولاً تخفيف اثقال الحكومة عن عاتق السكان حتى لا تؤخذ منهم جباية الاّ ما يسهل عليهم اعطاؤه ولا يرهقهم كما فعلت الحكومة المصرية لما ابتدأت بالاصلاح ففي سنة ١٨٧٩ الغت ضريبة الملح وكان يحصل منها في السنة ٢٠٠٠٠٠ جنيه وسنة ١٨٨٠ تجاوزت عن كل الاموال المتأخرة قبل الاهالي الى سنة ١٨٧٥ وكان مجموعها تسعة عشر مليوناً من الجنيهات والغت واحداً وثلاثين نوعاً من العوائد الشخصية التي كانت حملاً ثقيلاً على السكان وعائقاً في سبيل التجارة المحلية والاخذ والعطاء

وسنة ١٨٨٣ تجاوزت عن كل المتأخرات من ايجار اطيان الحكومة واملاكها وعشور النخيل وعوائد الموانئ ونحو ذلك وعن متأخرات اموال الاطيان من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٧٩ وكانت قد بلغت ٥٦٠٠٠٠ جنيه. ومن سنة ١٨٨٥ فصاعداً اخذت تلغي عوائد الدخولية من المدن والبنادر ولم يكن مجموعها اقل من ٣٥٠٠٠٠ جنيه

وسنة ١٨٨٦ الغت رسم القيدية وهو عشرون غرشاً على كل عرض يقدم الى احدى دوائر الحكومة

وسنة ١٨٨٩ تجاوزت عن ١٦٨٠٠٠ جنيه من متأخرات الايرادات و٢٤٠٠٠ جنيه من عوائد زراعة الدخان . والغت عوائد المعاصر

وسنة ١٨٩٠ الغت عوائد الفردة اي ما كان يؤخذ من المشتغلين بالصنائع وكان مقدارها السنوي أكثر من ١٢٠٠٠٠ جنيه وعوائد الحملة اي عوائد الحمل في المدن وعوائد الغنم والمعزى ومقدارها السنوي أكثر من ٤٠٠٠٠ جنيه

وسنة ١٨٩١ انقصت من اموال بعض الاطيان ١٣٠٠٠٠ جنيه في السنة

وسنة ١٨٩٢ الغت عوائد الباطنطة (العوائد الشخصية) وكان يحصل منها في السنة ٦٠٠٠٠ جنيه . والغت ايضاً ضرائب العونة وكان مجموعها السنوي ١٥٠٠٠٠ جنيه وتجاوزت عن كل متأخرات الاموال الى نهاية سنة ١٨٨٩ وكانت تبلغ ٦٢٣٨٥٥ جنيهاً وانقصت ١١٤٠٠٠ جنيه سنوياً من اموال بعض الاطيان

وسنة ١٨٩٤ انقصت ١٠٢٨٠٠ جنيه سنوياً من اموال بعض الاطيان و٢٨٥٠ جنيهاً سنوياً من مصاريف الترعة الابراهيمية وخفضت رسوم الليمانات والفنارات وهي ٤٠٠٠٠ جنيه في السنة

وسنة ١٨٩٥ تجاوزت عن ٢٤٥٣٥٣ من اموال الاطيان في بعض المديريات بسبب ما الم بزراعة القطن

وسنة ١٨٩٨ انقصت ٢١٦٠٠٠ جنيه سنوياً من اموال بعض الاطيان التي ضريبتها ثقيلة . والغت عوائد العربات ودواب النقل والسفن التي تمر تحت كوبري قصر النيل

وسنة ١٩٠٠ تجاوزت عن ٢٣٠٠٠٠ جنيه من اموال الاطيان الشراقي

وسنة ١٩٠١ الغت عوائد الصابورة

وسنة ١٩٠٣ الغت عوائد المباني في بعض المدن ورسوم الدخولية من كل القطر

وسنة ١٩٠٥ الغت ضريبة السفن

وسنة ١٩٠٦ الغت رسوم الكباري

ومع كل هذا الالغاء المستمر زادت ايرادات الحكومة في ثلاثين سنة زيادة مضطردة من نحو تسعة ملايين من الجنيهات الى أكثر من ستة عشر مليوناً بزيادة نمو السكان ونمو الثروة العمومية ولكن الثروة العمومية زادت أكثر مما زاد ايراد الحكومة فالنقدان الذي لم

يكن يساوي عشرين جنيهاً منذ ثلاثين سنة يساوي الآن مئة جنيه والفدان الذي كان ايجارهُ ثلاثة جنيهات منذ ثلاثين سنة يبلغ ايجارهُ الآن عشرة جنيهات

وسبب هذه الزيادة في الثروة العمومية وفي ايراد الحكومة هو طرق الاصلاح الذي تمَّ في القطر المصري اي اصلاح الري والصرف والسكك وتسهيل كل وسائل النقل وهذا هو الامر الثاني الذي يجب على الحكومة العثمانية ان تهتم به وهي تهتم باستتباب الامن وتخفيف الاثقال عن عاتق الاهلين فاذا فعلت ذلك في اليمن وفي كل ممالكها فعشرون سنة او ثلاثون تنسينا كل ايام الظلم والانحطاط الماضية

المرأة والامة

من خطبة للسيدة نبوية موسى القتها في الجامعة المصرية

اني وفاء بوعدي السابق اتكلم اليوم عن تاريخ المرأة في العصور الخالية اجمالياً ثم اشرح احوالها في بعض الامم لنرى كيف كان للاهتمام بشأنها دخل عظيم في تقدُّم الامة ولنرى اننا نحن المصريات مقصرات فيما يجب علينا في ترقية شأنها. لو كانت هذه الترقية قاصرة علينا لا تفيد غيرنا لتقاعدنا عنها حتى لا يسبب لنا حب الذات ولكنها ترقية تعم الامة بسرها لدخول نصفها في الحياة الحقيقية بعد ان كان كالعضو الاشل في جسمها قد يعوق غيرهُ من الاصلاح فتقاعُدنا عنها جهل بحقوق ابنائنا جهل بما لوطننا علينا من الواجبات. ولقد قال السير هنري مين (Henry Maine) الانجليزي الشهير ان الفرق العظيم بين مدنية الرومان ومدنية الهنود القاسدة يرجع الى ان الرومانيين كانوا يهتمون بشأن المرأة ويسعون في تحريرها اما الهنود فكانوا يبالغون في استعبادها والتضييق عليها

ولا عار علينا مما نحن فيهِ الآن من الجهل والخمول فقد كان كل النساء كذلك وانما العار ان يعمل غيرنا من النساء ونكسل نحن فيتقدمن ونتأخر حتى لقد اتسعت المسافة بيننا وبينهنَّ. ولقد كان نساء اوربا منذ قرنين تقريباً اسوأ منا حالاً وما زلن يعملن حتى اصبحن على ما نعلمهُ من حالهنَّ الآن اما نحن فقد تأخرنا عن اسلافنا الا اننا ولله الحمد قد افقنا من ذلك السبات الطويل فاصبحنا احسن من امهاتنا حالاً وهذا ما يجعلني آمل فيما ارجوهُ من الاصلاح لنا في المستقبل

كانت المرأة في الازمان الغابرة مهملة خاملة لا شأن لها فكانت تحت سلطة الرجل يتحكم